منهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرحمـــة بالمخـــالفين، دراســـة تطبيقية من السنة النبوية

د. عبد اللّطيف أحمد يعقوب محمّد [1]

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان منهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل الرحيم مع المخالفين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، من خلال دراسة تطبيقية لنماذج مختارة من السنة النبوية، وتبين الدراسة أن الرحمة لم تكن خُلُقًا عارضًا في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل منهجًا أصيلًا منضبطًا بالحكمة والمصلحة الشرعية، يوازن بين الدعوة والعدل، وبين الرفق والحزم، وقد أتّبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي، وذلك بجمع المعلومات ووصف الموضوع وصفا دقيقا كما هو الحال في أنواع رحمته، والاستقراء بتتبع الجزئيات من مواقف النبي ﷺ مع المخالفين، للوصول إلى القواعد والأحكام، وذلك ما يساعد على فهم أعمق للمنهجيّة النبوية، ومن ثمّ استنباط الفوائد، وقد وخلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أنّ الرحمة أصل جامع في المنهج النبوي، وشمولها لكل أصناف المخالفين، وفاعلية الرحمة في تصحيح الأخطاء واستمالة القلوب، وحرص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية المخالفين، وبناء على النتائج تقدم الدراسة التّوصيات التّالية: توجيه الدعاة وطلاب العلم لمزيد من الدراسة حول المنهج النبوي في الرحمة في التعامل مع المخالفين، وإدراج هذا الموضوع ضمن مناهج التعليم العام والعالي، و توجيه الدعاة إلى الاقتداء بالمنهج النبوي في إدارة الخلاف.

كلمات مفتاحية: الرحمة، المخالفون، السنة النبوية، المنهج النبوي، الدعوة.

[1] جامعة الشّرق للعلوم والتكنلوجيا – السودان.

البريد الإلكتروني:gmrya41@gmail.com

Abstract

The present study aimed to explain the merciful method of the Prophet (PBUH) in dealing with his opponents whether they were Muslims or non-Muslims. This is done through applied studies on a number of selected examples from the Sunnah. The study explained that his mercy was not a casual matter but an inherent characteristic governed by wisdom and the objectives of Islamic Sharia which strikes a balance between the calling to Islam and justice and between gentleness and decisiveness. The researcher adopted the descriptive, inductive and deductive approaches for data collection. The most important findings are as follows: first mercy was inherent in the nature of the Prophet's method of dealing with all types of opponents. Second, being merciful was an effective method for correcting mistakes and convincing opponents. Finally, the Prophet was keen to guide his opponents to the right path. Based on the these findings، the study recommends that diligent preachers and students should conduct further research on the topic and it should be included in higher education curriculum and that preachers should follow the prophet method in managing differences. Last but not least praise be to Allah the Lord of the Universe.

Keywords: mercy - opponents – Sunnah – method – invitation -inductive-deductive – inherent - convince - preach – decisive

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين في الأولين والآخرين، أمّا بعد:

لقد جاء الإسلام برسالة عالمية قامت على الرحمة والهداية، قد عبّر النبي ﷺ عن نفسه : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما بعثت رحمة مهداة" [1] ، ونعته الله في التنزيل بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة : 128]، وقد شملت رحمته الإنس والجن والحيوانات، ولقد كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلّم مانعا من عذاب الاستئصال، كما هو حال الأمم الماضية، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال : 33]، إنها الرحمة في أعلى صورها.

ولقد بلغت رحمته الطيور، كما ورد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» [2].

وقد تجسّدت الرحمة في حياة رسول الله ﷺ، فنال المخالفون له القَدَح المعلى من رحمته، من كفار ومشركين ومنافقين، أما من قلّ علمهم، ومن كان بهم جهل، والعصاة من المسلمين، فكانت رحمته بهم أعظم، وحرصه أتم، حتى ينقذهم من الهلاك، كما قال صلى الله عليه وسلّم: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ

---

[1] / البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، بالرقم 9205، (16/ 122)، قال الهيثمي: رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُ الْبَزَّارِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، التحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م، بالرقم 13940، (8/ 257).

[2] / أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، أبو داود، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بالرقم 2675، (3/ 55)، وهو صحيح.

حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» [1]، فكان رحمة حقيقية، اتّسمت بالحكمة، والحرص على هداية المخالفين من الكافرين، دون تفريط في ثوابت الدين، وإرجاع العصاة إلى الطريق القويم، بكل رفق ورحمة، وذلك هديه ﷺ.

وتأتي أهمية الدراسة لتبيين المنهج النبوي، ولا سيّما أنّنا في عصر تزايدت فيه الخلافات الفكرية، وظهرت فيه ممارسات تتنافى مع المنهج النبوي في التعامل مع المخالفين، مع بيان التطبيقات العملية من خلال السنة النبويّة الصحيحة، مع ربط ذلك بواقعنا المعيش، لمزيد من الاستفادة من السنة النبويّة المشرّفة، وإبراز مظاهر الرحمة وشمولها في تعامل النبي ﷺ مع المخالفين، وبيان أن رحمة النبي ﷺ بالمخالفين، لا تعني التنازل عن الحق، وأن الإسلام دين رحمة وسلم، لا غلظة وحرب.

وتبرز أهمية هذا الموضوع في واقع معاصر تتزايد فيه حدة الخلافات الفكرية والدينية، وتظهر فيه ممارسات تتنافى مع المنهج النبوي في إدارة الاختلاف، ما يحتّم علينا الرجوع للمنهج النبوي وكيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع المخالفين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تلصق التّهم جزافا بالإسلام، كالإرهاب والعنف ونحوهما، الوقوف على الجوانب التّطبيقية يقوّي ارتباط المسلم بالرسول صلى الله عليه وسلّم وهو قدوتنا.

أما مشكلة البحث، فتتمثّل في أن التعامل مع المخالفين لدى الكثيرين انبنى على الإفراط والتفريط: بين متشدد، ينتهي بالتنفير، ومتساهل يميّع الأحكام، وكلاهما مذمومان، يؤديان إلى ظهور الغلو والتطرف، وإضاعة كثير من الأحكام، مع كثرة صور المخالفة.

وتهدف الدراسة للإجابة عن بعض التّساؤلات: ما هي أهم معالم المنهج النبوي في التعامل بالمخالفين، وكيف نوازن بين الرحمة والحزم على ضوء السنّة النبويّة ؟.

[1] / البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، التحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، بالرقم 6483، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بالرقم 2284.

ويتكون البحث من مقدّمة، وخمسة مباحث، وخاتمة وتشتمل على النتائج والتّوصيات.

المبحث الأول: وفيه تمهيد وأربعة مطالب.

تمهيد:

الرحمة خلق أصيل من أخلاقنا، تقوم عليه الإنسانية الحقة، وهي سبب لازدهار المجتمعات، بنشر الألفة، وإبعاد الغلظة والجفاء، ولقد جاءت الدعوة للجميع أن يتراحموا، لينالوا رحمة الرحيم الرحمن، «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

المطلب الأول: تعريف الرحمة لغة:

رَحِمْتُه أَرْحَمُه رَحْمةً ومَرْحمة، وتَرَحَّمْت عليه، أي قلت: رَحْمةُ اللهِ عليه، وقال الله جلَّ وعزّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أي أوصَى بعضُهم بعضاً برحمة الضَّعيف والتَّعْطُّف عليه، [1]، الرَّحْمَة الْخَيْر وَالنعْمَة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَإِذا أذقنا النَّاس رَحْمَة من بعد ضراء مستهم}[2].

المطلب الثاني: تعريف الرحمة اصطلاحا:

رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم ودفع الأذى عنه.

الرحمة خُلُقٌ يحمل على الإحسان ودفع الأذى، وقد اتصف بها النبي ﷺ قولًا وفعلًا، حتى كانت سِمَةً عامة لمنهجه في التعامل مع الناس.

المطلب الثالث: تعريف المخالف وأنواعه:

(خلف) الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير، فالأول الخلف. والخلف: ما جاء بعد. ويقولون: هو خلف صدق من أبيه. وخلف سوء من أبيه. فإذا لم يذكروا صدقا ولا سوءا قالوا للجيد خلف وللردي خلف. قال الله تعالى:

---

[1] / الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، التحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (3/ 224)، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987م، (5/ 1929).

[2] / مجموعة من العلماء، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة، (1/ 335).

{فخلف من بعدهم خلف} [الأعراف: 169]، والخليفى: الخلافة، وإنما سميت خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائما مقامه. وتقول: قعدت خلاف فلان، أي بعده، والخوالف في قوله تعالى: {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف} [التوبة: 87][1].

الاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضّدّ، لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين، ولمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول قد يقتضي التّنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ} [مريم/ 37] ، {وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [هود/ 118][2].

المخالف من الخِلاف، وهو ضدّ الموافقة، ويُقال: خالفه مخالفةً، إذا سار على غير طريقه، أو أخذ بغير رأيه.

المخالف هو: من خرج عن أمرٍ شرعيٍّ ثابت، أو خالف أصلًا عقديًا، أو انحرف عن منهجٍ سلوكيٍّ معتبر، قولًا أو فعلًا أو اعتقادًا، مع قيام الحجة أو إمكان قيامها عليه.

المطلب الرابع: أنواع المخالف، أنواع:

1/ المخالف في الاعتقاد: وهو من خالف أصلا من أصول الإيمان أو ما عُلم من الدين بالضرورة، ويندرج تحته: الكفر، والشرك، والنفاق الاعتقادي، والإلحاد.

2/ المخالف في المنهج والفهم: وهو من انحرف في فهم النصوص أو تنزيلها، مع انتسابه إلى الإسلام، كأهل البدع، أصحاب الأهواء، والغلاة والجفاة.

3/ المخالف في السلوك والعمل: وهو من خالف الأحكام الشرعية العملية مع إقراره بها، ويشمل: العصاة، والفسّاق، والمفرّطين في الواجبات أو الواقعين في المحرمات.

4/ المخالف بالجهل أو التأويل: وهو من وقعت مخالفته بسبب: الجهل بالحكم، أو الخطأ في الاجتهاد، أو التأويل السائغ أو غير السائغ.

---

[1] / الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، (2/ 210).

[2] / الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، التحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ، (ص: 294).

5/ المخالف المسالم والمخالف المعتدي من حيث الموقف العملي: المخالف المسالم: من لم يظهر عداءً ولا اعتداءً، المخالف المعتدي: من ناصب العداء أو اعتدى على الدين أو النفس أو الحقوق.

ويراد بمنهج النبي صلى الله عليه وسلّم في التعامل مع من خالفه في الدين أو الاعتقاد، وهو منهج قام على الشّفقة بالخلق، والحرص على هدايتهم، مع العدل معهم، ورحمته صلى الله عليه وسلّم بالمخالفين، هي مواقفه وتصرفاته التي تجسّدت فيها معاني الرفق والعدل والإحسان، في تعامله مع من خالفه، أو جهل الأحكام الشّرعيّة، أو تعمّد المخالفة.

وتشمل صور المخالفة: الكفر باعتباره خروجًا عن أصل الإيمان، والبدعة لمخالفتها منهج الاتباع، والمعصية لمخالفتها الأمر أو النهي الشرعي، والجهل لكونه سببًا في وقوع المخالفة أو استمرارها، مع تفاوت هذه الصور في الحكم والآثار الشرعية.

راعى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال المخالف، ودرجة مخالفته، ومآل التعامل معه.

المبحث الثاني: الرحمة بالمخالفين غير المسلمين المشركين والكافرين:

وفيه تمهيد وسبعة مطالب.

تمهيد:

اتّسم منهج النبي ﷺ في التعامل مع المشركين والكافرين، فكان رحيما حكيما، جمع بين الدعوة بالتي هي أحسن، مع الصبر على الأذى، فكان متوازنا، يظهر العدل والإحسان، مع الالتزام بالثّوابت، فكان حقا رحمة للعالمين، ومن صور رحمته بهم:

المطلب الأول: الدعاء لهم بالهداية:

لما قيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن دوسا عصت وأبت، وفي رواية: أنهم طلبوا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو عليهم، فكان أن دعا لهم، رحمة بهم، وإرادة للخير لهم، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» [1].

[1] / البخاري: صحيح البخاري بالرقم 2937، مسلم: صحيح مسلم بالرقم 2524.

المطلب الثاني: دعوتهم إلى الإسلام:

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حريصا على هداية قومه، ويحض أصحابه لبذل الجهود لهدايتهم، ورتّب على ذلك أجرا عظيما، وهذا دليل بيّن على رحمته بهم، وحرصه على هدايتهم، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ - أَوْ سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَوَ اللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ [1]، تَابَعَهُ يُونُسُ[2].

من ذلك دعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه: فقد كان يدعو لهم بالهداية، ويعلل عنادهم وعدم اتباعه بأنهم لا يعلمون، وهذا من رحمته بهم، وإرادة الخير لهم، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[3].

المطلب الثالث: موقفه من ثمامة بن أثال، قبل إسلامه:

لما جيء به وربط في سارية من سواري المسجد، والرجل سيّد أهل اليمامة، فخرج إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأله: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»، يستفهمه النبي ﷺ ماذا عندك؟. جاء في عون المعبود وحاشية ابن القيم: ماذا عندك: أي أيُّ شيء عندك ويحتمل أن تكون ما استفهامية وذا موصولة

[1] / حمر النعم: "حمر" النعم، بضم حاء وسكون ميم أي أقواها وأجلدها، أي خير لك من أن تتصدق بها، وقيل: أن تقتنيها. ط: أي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب فجعلت كناية عن خير الدنيا كلها، الفتني، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م، (1/ 579).

[2] / البخاري: صحيح البخاري بالرقم 923.

[3] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 4477.

وعندك صلة أي ما الذي استقر في ظنك أن أفعله بك (قال عندي يا محمد خير) أي لأنك لست ممن يظلم بل ممن يعفو ويحسن (إن عزّ وجل تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر) هذا تفصيل لقوله عندي خير وفعل الشرط إذا كرر في الجزاء دل على فخامة الأمر، قال النووي قوله ذا دم فيه وجوه أحدها معناه إن تقتل تقتل صاحب دم لدمه موقع يشتفي بقتله قاتله بثأره أي لرياسته وفضله وحذف هذا لأنهم يفهمونه في عرفهم وثانيها إن تقتل تقتل من عليه دم مطلوب به وهو مستحق عليه فلا عتب عليك [1].

وهنا لطيفة، وهي أنه قدم في المرة الأولى القتل على الإنعام وعكس الترتيب ها هنا فكأنه رأى في اليوم الأول أمارات الغضب فقدم القتل وهو أشق الأمور عليه وأشفى لصدر خصمه في زعمه فلما لم يقع القتل قدم الاستعطاف وطلب الإنعام [2].

ولقد كانت رحمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثمامة سببا لإسلامه، ومنافحته عن دين الله.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ:

[1] / العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ، (7/ 243).

[2] / الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م، (19/ 195).

عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

المطلب الرابع: رفضه إهلاك أهل الطائف:

وهم الذين فعلوا ما فعلوه به، جمعوا له السفهاء، وحصبوه بالحجارة، وأدموا قدميه، وسنحت له الفرصة لينتقم منهم، وهو على حق، فكان أن أفاض عليهم رحمته، فصفح وعفا عنهم، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ[2] ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[1] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 1764.

[2] / الأخشبان: هما جبلان مطيفان بمكة أبو قيس والأحمر، والأخشب كل جبل خشن غليظ، الفتني، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (2/ 39).

وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[1].

المطلب الخامس: عفوه عن أهل مكة:

وقد سنحت له الفرصة ليرد عليهم، فترفع، وأظهر لهم رحمة فائقة، وقال لهم سائلا: يا معشر قريش: إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية، ثم قال: «يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل فيكم» ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2]، نعم عفا عنهم تأليفا لقلوبهم، وحتى يسلكوا مسلك الهداية.

لقد عامل النبي ﷺ أسرى بدر معاملةً كريمة، تجلّت فيها الرحمة والحكمة والعدل، في سابقةً أخلاقية فريج في تاريخ الحروب، فبعد انتهاء المعركة، استشار النبي ﷺ الصحابة في شأن الأسرى: فرأى أبو بكر ﷺ العفو عنهم وأخذ الفداء؛ لعل الله أن يهديهم، ورأى عمر ﷺ قتلهم؛ لأنهم أئمة الكفر، فمال النبي ﷺ إلى رأي أبي بكر ﷺ، أوصى النبي ﷺ بإحسان معاملة أسرى بدر، فكان الصحابة يقدمون للأسرى الطعام الجيد، حتى كانوا يعطونهم الخبز ويأكلون هم التمر، امتثالًا لأمره ﷺ.

وقد أعطى النبي ﷺ الأسرى خيارات عديدة، إما الفداء بالمال لمن كان قادرًا، أو الفداء بالتعليم، فمن كان يحسن القراءة والكتابة علّم عشرة من صبيان المسلمين، فكان ذلك مظهرًا من تقدير العلم ونشره، وعفا عن بعضهم دون مقابل وذلك مراعاةً لقرابتهم، أو لفقرهم، أو رجاءَ إسلامهم، فكان ذلك قمّة في الرحمة.

المطلب السادس: منعَ من ظلم المعاهد:

وقد أرسى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاعدة متينة في حفظ العهود والوفاء بها، ولو كانت مع الكفرين لا سيما إذا كانت بيننا وبينهم معاهدة، وأن ظلمهم أمر محرّم، حتى إذا رأينا منهم أمارات الغدر، لا نباغتهم ولا نفاجأهم، وإنما نعلنهم أننا في حل من العقد الذي بيننا وبينهم، {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3231.

[2] / ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1414/1993م، (2/ 226).

خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال : 58]، بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون يوم القيامة حجيج من يظلم معاهدا أو ينتقص من مقامه، أو يأخذ منه شيئا بغير طيب نفس، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ، مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [1].

من قتل معاهدا: كيف وبيننا وبينه عهد وميثاق ثم نغدر به؟ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» [2].

المطلب السّابع: رحمته بهبّار بن الأسود:

فقد آذى النبي صلى الله عليه وسلّم، وكان سببا بأن ألقت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما في بطنها، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ خَرَجَتِ ابْنَتُهُ زَيْنَبُ مِنْ مَكَّةَ مَعَ كِنَانَةَ أَوِ ابْنِ كِنَانَةَ، فَخَرَجُوا فِي أَثَرِهَا فَأَدْرَكَهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْعَنُ بَعِيرَهَا بِرُمْحِهِ حَتَّى صَرَعَهَا وَأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا وَأَهْرَاقَتْ دَمًا، فَحُمِلَتْ فَاشْتَجَرَ فِيهَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ فَقَالَ بَنُو أُمَيَّةَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِهَا، وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهِمْ أَبِي الْعَاصِ فَصَارَتْ عِنْدَ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا هِنْدٌ: هَذَا بِسَبَبِ أَبِيكِ... [3]، ولقد أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلّم دمه.

قال الواقدي: وَأَمّا هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَإِنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ كُلّمَا بَعَثَ سَرِيّةً أَمَرَهَا بِهَبّارٍ إنْ أُخِذَ أَنْ يُحْرَقَ بِالنّارِ. ثُمّ قَالَ: إنّمَا يُعَذّبُ بِالنّارِ رَبّ النّارِ، اقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ إنْ قَدَرْتُمْ

[1] / أبو داوود، سنن أبي داود بالرقم 3052، (3/ 170)، وهو صحيح.

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3166.

[3] / الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990م، بالرقم 6836، (4/ 46)، وهو صحيح.

عَلَيْهِ، ثُمّ أُقْتُلُوهُ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَكَانَ جُرْمُهُ أَنّهُ عَسّ بِابْنَةِ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ وَضَرَبَ ظَهْرَهَا بِالرّمْحِ- وَكَانَتْ حُبْلَى- حَتّى سَقَطَتْ، فَأَهْدَرَ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَهُ. فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ بِالْمَدِينَةِ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ طَلَعَ هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَكَانَ لَسِنًا، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ! سُبّ مَنْ سَبّك، إنّي قَدْ جِئْت مُقِرّا بِالْإِسْلَامِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَقَبِلَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَتْ سَلْمَى مَوْلَاةُ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: لَا أَنْعَمَ اللهُ بِك عَيْنًا! أَنْتَ الّذِي فَعَلْت وَفَعَلْت. فقال: إنّ الإسلام محا ذلك [1].

نعم محا الإسلام كل ذلك، وهكذا بانت رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وظهر حرصه على هداية من عادوه وخالفوه، هو بأبي وأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث الثالث: الرحمة بأهل الكتاب، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد:

تميّز تعامله ﷺ مع أهل الكتاب بالإنصاف والعدل، حاورهم بحكمة، ثبّت لهم حقوقهم، وفق مبدأ التعايش واحترام العهود والمواثيق، ولقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالحكمة والرفق، واحتج عليهم بما يعرفون من كتبهم، ونزل القرآن محاورًا لهم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران : 64]، وهو خطاب دعوي رحيم غير إقصائي.

المطلب الأول: قيامه لجنازة يهودي:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَالَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» [2]، وفي ذلك إقرار لإنسانية الانسان، وأنها نفس تفلتت منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[1] / الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409م، (2/ 857).

[2] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 961.

عاد غلامًا يهوديًا مريضًا كان يخدمه، فدعاه إلى الإسلام بلطف، فأسلم الغلام، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» [1]، ولنا أن نتأمل كيف أثمرت هذه الزيارة ثمرة عظيمة بأن أسلم الغلام، وبإرشاد من أبيه الذي فخّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال لولده: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدايا أهل الكتاب، وتعامل معهم بيعًا وشراءً، بل إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم مات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعامٍ لأهله دلالة على المعاملة بالعدل والثقة، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ» [2]، وربنا سبحانه وتعالى ما نهانا أن نتعامل معهم مطلقا، {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)} [الممتحنة : 7 - 8].

المطلب الثاني: اعترافه بحقوق اليهود كما في وثيقة المدينة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ [3].

المطلب الثالث: رحمته بالرهط أصحاب السام عليكم:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 1356.

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 2916.

[3] / للوقوف على نصّ الوثيقة: راجع ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لابن هشام، (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م، (1/ 501 ـ 504).

كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"[1]، ولنا أن نتأمل كيف أنّ أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت لهم: وعليكم السام واللعنة، فأوقفها رسول الله ﷺ، مهلا يا عائشة، وبيّن لها أن الله يحب الرفق في الأمر كله، بل ورد في رواية عند مسلم أن الرسول ﷺ قال لها: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً»[2]، وقعّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم قاعدة عظيمة: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"[3].

المبحث الرّابع: الرحمة بالعصاة والمخطئين من المسلمين، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد:

تعامله صلى الله عليه و سلم مع العصاة والمخطئين والجهلة من المسلمين، فقد كان برفق وحلم ولطف، وحسن تعليم ُ راعى أحوالهم، وقوّم أخطاءهم بتوجيه ورحمة، وحرص على الخير لهم، كيف لا وهو الذي وصف بالولد، وأنعم به من وصف كامل، فالأب شفقة وعطفا وحنانا ورحمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ»[4]، ولقد كانت المواقف كثيرة، من أمثلتها معالجته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأخطاء الأعراب والجهال بالرفق والتعليم.

المطلب الأول: قصة الأعرابي الذي بال في المسجد:

ما عنّفه، ولا سبّه، وإنما وجّهه بلا تعنيف، بل وتركه يكمل بولته، ووجه الصحابة كما في الرواية التي عند مسلم، ... قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 6024.

[2] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2165.

[3] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2593.

[4] / أبو داوود، سنن أبي داود، بالرقم 8، (1/ 3)، وهو حديث حسن.

رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ [1]، ثم وجههم وأمرهم أن ييسروا، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [2].

المطلب الثاني: توجيهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ:

قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3]،

ما كان يعرف أن الكلام في الصلاة ممنوع، حتى لما صمّته الصحابة واصل كلامه: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، ولنترك له الكلام وهو يتكلم عن الكيفية التي وجهه بها رسول الله ﷺ: فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، وإنما علمه ووجهه برفق، «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».

المطلب الثالث: تعليمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل المسيء صلاته :

خلاّد بن رافع ـ برفق: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا،

[1] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 285.

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 220.

[3] / مسلم، صحيح مسلم بالرقم 537.

فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا» [1]، هو أتى بصورة صلاة، ولما ردّه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعل مثل ما فعل، فردّه، فما كان منه إلا وأن قال له بعد الثالثة: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فكان أن علّمه برفق تام.

ويعظم الأمر في حق هذا الفتى الذي أتى النبي ﷺ، وفي حضرة أصحابه، ويصدح بها مدويّة وبكل ثبات: ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا! سبحان الله، أقبل عليه القوم وزجروه، لكن النبي صلى الله عليه وسلّم، المعلم الأكبر التفت إلى الفتى وسأله: كيف قلت؟ ألم يسمعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ سمعه، إذاً لماذا استفهمه مرة أخرى؟، الذي يظهر والله أعلم، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يغير كلامه، لكنه ازداد وأعاد على رسول الله صلى الله كلامه، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، هذا الموقف يحتاج معالجة حكيمة تتضمن رحمة تزجر هذا الفتى الجامح، وتعيده إلى رشده وصوابه، فكان أن قدّر النبي ﷺ موقفه، وأن الشّهوة أخذت منه كل مأخذ، فدعا له بدعاء جمع الخير، وأنعم به من دعاء، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " ولذلك ثبت الفتى، وطهر الله قلبه، فصار أبعد ما يكون عن الفاحشة، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ [2].

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 757.

[2] / أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله التحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، بالرقم 22211، (36/ 545)، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

المبحث الخامس: الرحمة بالمنافقين، وفيه تمهيد وأربعة مطالب.

تمهيد:

اتّسم تعامل النبي ﷺ مع المنافقين بالرحمة والحِلم وضبط النفس، فلم يقابل نفاقهم بالانتقام، بل عاملهم بالظاهر وترك سرائرهم إلى الله، وقد أقام ﷺ منهجه على الستر والإصلاح ودفع الفتنة، حفاظًا على وحدة المجتمع، وإقامةً للحجة، وتجسيدًا لأسمى صور الرحمة النبوية، نعم على عظيم خطورتهم، وسوء نواياهم، وكبير حقدهم، مع ذلك قبل ظاهرهم، وصفح عنهم، تأليفا لقلوبهم، وأحسن التعامل مع المنافقين عموما، ومع رئيسهم عبد الله بن أبي خصوصا، وسترهم النبي ﷺ، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء : 145].

المطلب الأول: تركه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل رأس النفاق درءًا للمفسدة:

عنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» [1].

المطلب الثاني: عفوه عن المنافقين الذين لم يظهروا الكفر صراحة واستغفر لهم:

وذلك قبل أن ينهى عن ذلك، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة : 73]، {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة : 113].

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 4907.

صبر على أذاهم، وما واجههم في أول الدعوة، وكان القصد والهدف من رحمته بهم أن يحافظ على تماسك مجتم المدينة.

لما مات عبد الله بن أبي سلول ورّث النبي ﷺ ابنه عبد الله منه، وصلى عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك قبل أن ينهى عن ذلك، {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة : 84].

المطلب الثالث: رحمته بذي الخويصرة:

وهو الذي أساء الأدب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتهمه بعدم العدل، كان في إمكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يقتله، وذلك ما أشار به عمر بن الخطاب ﷺ، كما ورد عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ [1] ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ [2].

[1] / البضعة تدردر أراد تتدردر فحذف احدى التائين استخفافاً ومنه "تنزل الملائكة والروح فيها" أي تتنزل فحذف احدى التائين، ومعنى يتدردر: أي ينتفخ ويعظم ويدر وقد قيل فيه يتحرك، الجبي، شرح غريب ألفاظ المدونة، التحقيق: محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2005 م، (ص: 59).

[2] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3610.

نعم تجلت رحمته صلى الله عليه وسلّم في هذا الموقف، وعظم حلمه، وكان ردّه في منتهى الانصاف: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي»، «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، ومن يعدل إن لم أعدل؟ الله أكبر، ومن يعدل إن لم يعدل رسول الله ﷺ! نعم غضب رسول الله ﷺ لأنه إنما يعمل بأمر الله تعالى، «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ»؟، ومع ذلك كظم غيظه وقال: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»، فالصبر من شيم الحلماء، وصدقت فيه نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ ".

ويتجلى التوازن بين الرحمة والحزم في المنهج النبوي، لما له من خطورة بالغة، الحزم يكون لحماية الدين إذا انتهكت الحرمات، ووقع الإضرار بالنّاس، والرحمة والتيسير لإصلاح الأخطاء وتقويمها عند ضعف الخلق، وقد ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا» [1]، الحزم في الثّوابت والقطعيّات، والرحمة في المسائل الاجتهادية والخلافيّة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ " [2].

المطلب الرّابع: كيف نطبّق الرحمة في الواقع المعيش؟.

إن واقعنا المعيش اليوم يحتاج إلى بسط الرحمة في كافة المناحي الحياتية بصفة عامة، وبصفة أخص في الخطاب الدعوي والإعلامي، لأن الإعلام اليوم أصبح له القدح المعلى، وهو لسان الحال، وبه يعبر عن الواقع، ومآلات الأمور، وبالتالي يتعايش الناس في أمان، وتتنزل الخيرات والبركات على الجميع، حتى المخالف إذا رأى ذلك قاده إلى إحسان التعامل مع الآخرين.

وضرورة الأخذ بالرحمة لنبذ العنف والتشدد لا سيّما في معالجة الخلاف.

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 3560، مسلم، صحيح مسلم بالرقم2327.

[2] / أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل بالرقم 1839، (3/ 339)، وهو صحيح لغيره.

وأن نجعل من الرحمة سلوكا لنا، بدءً من رحمة أنفسنا، بأن لا نحملها ما لا تطيق، ثم برحمة أهلنا

ومن هم تحتنا، وذلك يتطلب حسن الخلق في التعامل مع الزوجة والأبناء، مع رحمتهم، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» [1]، والعناية برحمة الأطفال، وكبار السن، كما ورد عَنْ زَرْبِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْطَأَ القَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» [2].

وأن نشيع الرحمة في المجتمع، ونرسّخ لثقافة الحوار والتسامح، بعيدا عن القسوة، فنقدم الرفق على العنف، والتيسير قبل العسير، وأن نفرّق بين الخطأ وصاحبه، وأن نهتم بالرحمة في الدّعوة، وفي الحكم على النّاس، فلا نتعجل في القاء التهم، وأن نشفق على إخواننا الذين تعرّضوا للبلايا والمحن، نقول لهم كلاما حسنا يخفف مصابهم، وندعو لهم، ونقدم لهم يد العون، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» [3].

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

لقد تجلت معالم المنهج النبوي في التّعامل مع المخالفين، رأفة ورحمة، هدفها الأخذ بأيديهم إلى الطريق السّوي، ولقد خلص البحث إلى أن الرحمة تمثل ركنًا أصيلًا في المنهج النبوي للتعامل مع

[1] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 5997، مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2318.

[2] / الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975م، بالرقم 1919، (4/ 321)، وهو صحيح.

[3] / البخاري، صحيح البخاري بالرقم 6011، مسلم، صحيح مسلم بالرقم 2586.

المخالفين، وأنها كانت وسيلة إصلاح وبناء، لا مظهر ضعف أو تنازل، وبتلك الموازنة كانت نتائج تلكم المعاملات خيرا كثيرا، قاد كثيرين إلى الحق، وإن استحضار هذا المنهج في واقع الدعوة المعاصرة، وتفعيله في معالجة الخلافات الفكرية والسلوكية، يحقق صلاحا ورشادا.

أولا: النتائج

1/ أنّ الرحمة أصل جامع في المنهج النبوي، وشمولها لكل أصناف المخالفين.

2/ فاعلية الرحمة في تصحيح الأخطاء واستمالة القلوب.

3/ أسهمت رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية المخالفين ودخولهم في الإسلام.

4/ أسهمت الرحمة في تحقيق مقاصد الدعوة.

5/ أن رحمة المخالفين لا تعني التنازل عن الحق، وإنما تمارس مع مراعاة القيم الشرعية.

6/ أدت الرحمة النبوية إلى تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع.

ثانيا: التوصيات

1/ توجيه الدعاة وطلاب العلم لمزيد من الدراسة حول المنهج النبوي في الرحمة في التعامل مع المخالفين.

2/ إدراج هذا الموضوع ضمن مناهج التعليم العام والعالي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، التحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

(2) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

(3) الجبي، شرح غريب ألفاظ المدونة، التحقيق: محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2005 م.

(4) أبو داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(5) الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي المستشار برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، الناشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009م.

(6) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م.

(7) الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع

الفوائد، التحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م.

(8) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1989/1409م.

(9) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990م.

(10) مجموعة من العلماء، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

(11) مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(12) ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1993/1414م.

(13) أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله التحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

(14) العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ

(15) الفتني، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، 1387 هـ - 1967م.

(16) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، التحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(17) الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

(18) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، التحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ

(19) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975م.